الباب الرابع: في العلم والأدب وفضل العالم والمتعلم

قال الله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماءُ﴾[1] وقال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلمَ درجاتٍ﴾[2] وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلموا العلم فإن تعلمه لله حسنة، ودراسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه عبادة، وتعليمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام وبيان سبيل الجنة، والمؤنس في الوحشة والمحدث في الخلوة، والجليس في الوحدة والصاحب في الغربة، والدليل على السراء والمعين على الضراء، والزين عند الإخلاء والسلاح على الأعداء، وبالعلم يبلغ العبد منازل الأخيار، في الدرجات العلى ومجالسة الملوك في الدنيا، ومرافقة الأبرار في الآخرة، والفكر في العلم يعدل الصيام، ومذاكرته تعدل القيام، وبالعلم توصل الأرحام وتفصل الأحكام، وبه يعرف الحلال والحرام، وبالعلم يعرف الله ويوحد، وبالعلم يطاع الله ويعبد». قيل: العلم درك حقائق الأشياء مسموعاً ومعقولاً. وقال النبي ﷺ: «خير الدنيا والآخرة مع العلم، وشر الدنيا والآخرة مع الجهل». وعنه عليه الصلاة والسلام: «يوزن مداد العلماء، ودماء الشهداء يوم القيامة فلا يفضل أحدهما على الآخر، وَلَغَدْوَةٌ في طلب العلم أحبُّ إلى الله من مائة غزوة، ولا يخرج أحد في طلب العلم، إلا وملك موكل به يبشّره بالجنة، ومن مات وميراثه المحابر والأقلام، دخل الجنّة». وقال علي كرم الله وجهه: أقل الناس قيمة أقلهم علماً. وقال أيضاً رضي الله عنه: العلم نهر، والحكمة بحر، والعلماء حول النهر يطوفون، والحكماء وسط البحر يغوصون، والعارفون في سفن النجاة يسبرون[3]. وقال موسى عليه السلام في مناجاته: إلٰهي مَنْ أحب الناس إليك؟ قال: عالم يطلب علماً. وقال بعض السلف رضي الله عنهم: العلوم أربعة: الفقه للأديان، والطب للأبدان، والنجوم للأزمان، والنحو للسان. وقيل: العالم طبيب هذه الأمة، والدنيا داؤها، فإذا كان الطبيب يطلب الداء فمتى يبرىء غيره. وسئل الشعبي عن مسألة فقال لا علم لي بها. فقيل له: ألا تستحي؟ فقال ولم أستحي مما لم تستح الملائكة منه حين قالت لا علم لنا. وعن النبي ﷺ: «فضل العالم على العابد، كفضلي على أدناكم» وروي «كفَضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب». وقال علي كرم الله وجهه: من نصب نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته، قبل تأديبه بلسانه. وقيل: مؤدب نفسه ومعلمها أحق بالأجلال من مؤدب الناس ومعلمهم. وأنشدوا[4]:

يا أيها الرجلُ المعلِّمُ غيرَهُ ... هلاَّ لنفسك كان التعليمُ

تصفُ الدواءَ لذي السقامِ وذي الضنى ... كيما يصحَّ به وأنت سقيمُ

---

(١) سورة: فاطر، الآية: ٢٨.

(٢) سورة: المجادلة، الآية: ١١.

(٣) يسبرون: يقيسون ولعل الأصوب: يعبرون.

(٤) تنسب الأبيات لأبي الأسود الدؤلي.

ونـراك تصلـحُ بـالـرشـادِ عقـولَنـا ... أبـداً وأنـت مـن الـرشـادِ عـديـمُ
فـابـدأ بنفسِـك فَـانْهَـا عـن غَيِّهـا[1] ... فـإذا انتهَـتْ عنـه فـأنـت حكيـمُ
فهنـاك يُقبَـلُ مـا تقـول ويُهْتَـدَى ... بـالقـولِ منـك وينفـعُ التعليـمُ
لا تَنْـهَ عـن خُلُـقٍ وتـأتـيَ مثلَـهُ ... عـارٌ عليـكَ إذا فعلـتَ عظيـمُ

وقال بعضهم:

إنـي رأيـتَ النـاسَ فـي عصـرِنـا ... لا يطلبـونَ العِلْـمَ للعلـمِ
إلا مبـاهـاةً لأصحـابِـهِ ... وعـدةً للغـشِّ والظلـمِ

نظر رجل إلى امرأته وهي صاعدة في السلم فقال لها: أنت طالق إن صعدت، وطالق إن نزلت، وطالق إن وقفت. فرمت نفسها إلى الأرض فقال لها: فداك أبي وأمي، إن مات الإمام مالك احتاج إليك أهل المدينة في أحكامهم. وقال النبي ﷺ: «هلاك أمتي في شيئين: تَرْك العلم، وجَمْع المال». وسئل رسول الله ﷺ عن أفضل الأعمال فقال: «العلم بالله والفقه في دينه» وكررها عليه فقال: يا رسول الله أسألك عن العمل فتخبرني عن العلم فقال: «إن العلم ينفعك معه قليل العمل، وإن الجهل لا ينفعك معه كثير العمل». وقال عيسى عليه السلام: مَنْ عَلِمَ وعَمِلَ عُدّ في الملكوت الأعظم عظيماً. وقال الخليل عليه السلام: العلوم أقفال، والأسئلة مفاتيحها. وعنه عليه السلام: زلة العالم مضروب بها الطبل، وزلة الجاهل يخفيها الجهل. وقال الحسن: رأيت أقواماً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون من عمل بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه، والعامل بغير علم كالسائر على غير طريق، فاطلبوا العلم طلباً لا يضرُّ بالعبادة، واطلبوا العبادة طلباً لا يضر بالعلم.

وقال يزيد بن ميسرة: مَنْ أراد بعلمه وجه الله تعالى أقبل الله بوجهه ووجوه العباد إليه، ومَنْ أراد بعلمه غير وجه الله، صرف الله وجهه ووجوه العباد عنه. وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم بأجود الأجواد؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «الله أجود الأجواد وأنا أجود ولد آدم، وأجود من بعدي رجل علم علماً فنشره، يبعث يوم القيامة أمة واحدة، ورجل جاد بنفسه في سبيل الله، حتى قتل». وقال الثوري: كان يقال: العلم الفاجر فتنة لكل مفتون. وعن الفضيل رحمه الله تعالى أنه قال: لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وأعزوا هذا العلم، وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله إذاً لخضعت لهم رقاب الجبابرة، وانقاد لهم الناس، وكانوا لهم تبعاً، ولكنهم أذلوا أنفسهم وبدلوا علمهم لأبناء الدنيا، فهانوا وذلوا: إنا لله وإنا إليه راجعون فأعظم مصيبة والله أعلم. وللقاضي العلامة أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني وقد أحسن كل الإحسان، كأنما طرزت في خلع حسان:

ولـم أقـضِ حـقَّ العلـم إن كنـت كلمـا ... بـدا طمعـاً صيـرتـه لـي سلمـا
ولـم أبتـذل فـي خـدمـة العلـم مهجتـي ... لأخـدم مـن لاقيـت لكـن لأخـدمـا
أأشقـى بـه غـرسـاً وأجنيـه ذلـةً ... إذاً فـاتبـاعُ الجهـلِ قـد كـان أسلمـا
فـإن قلـتَ زنـدُ العلـم كـابٍ فـإنمـا ... كبـا حيـن لـم نحـرس حمـاه وأظلمـا

(١) الغي: الضلال.

ولـو أن أهـل العلـمِ صـانـوه صـانهـم ولـو عظمـوه فـي النفـوس لعظمـا
ولكـن أهـانـوه فهـانـوا ودنَّسـوا محيـاه بـالأطمـاع حتـى تجهَّمـا[1]

وقيل: مَنْ لم يتعلم في صغره لم يتقدم في كبره. وقال الفضيل: شر العلماء من يجالس الأمراء وخير الأمراء من يجالس العلماء. وقال لقمان: جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بماء السماء. وقيل: من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار. وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا رأى طالبي العلم قال: مرحباً بكم ينابيع الحكمة، ومصابيح الظلمة، خلقان الثياب، جدد القلوب، رياحين كل قبيلة. وقال علي رضي الله عنه: كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه مَنْ لا يحسنه ويفرح به إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ضعة[2] أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب إذا نسب إليه. عن النبي ﷺ: «ما أتى الله أحداً علماً إلا أخذ عليه الميثاق أن لا يكتمه أحداً». ودعا بعضهم لآخر فقال: جعلك الله ممن يطلب العلم رعاية لا رواية، وممن يظهر حقيقة ما يعلمه بما يعمله، وعن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «على باب الجنة شجرة تحمل ثماراً كثدي النساء يخرج من تحتها عين ماء يشرب منها العلماء والمتعلمون مثل اللبن والحليب، والناس عطاش»، وعن ابن مسعود رضي الله عنه: «مَنْ تعلَّم باباً من العلم ليعلمه الناس ابتغاء وجه الله أعطاه الله أجر سبعين نبياً». وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «ويل لأمتي من علماء السوء يتخذون العلم تجارة يبيعونها لا أربح الله تجارتهم».

العلـم أنفـسُ شـيءٍ أنـت داخـرُهُ مـن يـدرسِ العلـمَ لـم تـدرَسْ مفـاخـرُهُ
أقْبِـلْ علـى العلـم واستقبِـلْ مقـاصـدَهُ فـأوّلُ العلـم إقبـالٌ وآخـرُهُ

قال الشعبي: دخلت على الحجاج حين قدم العراق فسألني عن اسمي فأخبرته ثم قال: يا شعبي كيف علمك بكتاب الله؟ قلت: عني يؤخذ. قال: كيف علمك بالفرائض؟ قلت: إليَّ فيها المنتهي، قال: كيف علمك بأنساب الناس؟ قلت: أنا الفيصل فيها. قال: كيف علمك بالشعر؟ قلت: أنا ديوانه، قال: لله أبوك. وفرض لي أموالاً وسودني على قومي فدخلت عليه وأنا صعلوك من صعاليك همدان وخرجت وأنا سيدهم. قال البستي.

إذا لـم يَـزدْ علـمُ الفتـى قلبَـه هـدىً وسيـرتَـه عـدلاً وأخـلاقَـه حسنـاً
فبَشِّـرْهُ أنَّ الله أولاه فتنـةً تغشِّيـه حـرمـانـاً وتـوسعُـهُ حـزنـاً

وقال الهيثم بن جميل: شهدت مالك بن أنس رضي الله عنه سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها لا أدري. وقال الأوزاعي: شكت النواويس إلى الله تعالى ما تجد من نتن ريح الكفار فأوحى إليها: بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه. وقال علي رضي الله عنه: من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض. ولصالح اللخمي:

تعلَّـمْ إذا مـا كنـتَ لسـت بعـالـمٍ فمـا العلـمُ إلا عنـد أهـل التعلُّـمِ
تعلَّـمْ فـإنَّ العلـمَ أزيـنُ للفتـى مـن الحلـةِ الحسنـاءِ عنـد التكلُّـمِ

(١) تجهّم: عبس في وجهه وكلح.
(٢) الضعة: الذل الهوان والصغار.

ودخل عبد اللّه بن المسلم الهذلي على المهدي في القراء فأخذ عشرة آلاف درهم، ثم دخل في الرماة فأخذ عشرة آلاف درهم، ثم دخل في المغنين فأخذ كذلك، ثم دخل في القصاص فأخذ كذلك، فقال المهدي: «لم أر كاليوم أجمع لما يجمع الله في أحد منك». وملّ جماعة من الحكماء مجالسة رجل فتواروا عنه في بيت، فرقي السطح، وجعل يستمع من كوّة حتى وقع عليه الثلج فصبر فشكر الله له ذلك فجعله إمام الحكماء، لا يختلفون في شيء إلا صدورا عن رأيه، وشكا رجل إلى وكيع بن الجراح سوء الحفظ فقال له: استعن على الحفظ بترك المعاصي، فأنشأ يقول[1]:

شكـوتُ إلـى وكيـعٍ سـوءَ حفظـي ... فـأرشَـدَنـي إلـى تَـرْكِ المعَـاصـي
وذلـك أن حِفْـظَ العلـمِ فضـلٌ ... وفضـلُ الله لا يـؤتـى لعَـاصـي

ووجد في بعض الآثار عن بعضهم أنه قال: إذا أردت أن تكون أحفظ الناس فقل عند رفع الكتاب، أو المصحف، أو ابتداء القراءة في كل شيء أردت: بسم الله وسبحانه الله ولا إلٰه إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، عدد كل حرف كتب ويكتب أبد الآبدين ودهر الداهرين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. قيل: وإذا أردت أن لا تنسى حرفاً فقل قبل القراءة: اللهم افتح علينا حكمتك، وانشر علينا رحمتك يا ذا الجلال والإكرام. وإذا أردت أن ترزق الحفظ فقل خلف كلا صلاة مكتوبة: آمنت بالله الواحد الأحد الحق لا شريك له وكفرت بما سواه. ومن فوائد سيدي الشيخ صالح شهاب الدين أحمد بن موسى بن عجيل رحمه الله تعالى في الحفظ: يقرأ في كل يوم عشر مرات ﴿ففهَّمْنَاها سليمانَ وكلا آتينا حكماً وعلماً ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وكنا فاعلين﴾[2] يا حي يا قيوم، يا رب موسى وهارون، ويا رب إبراهيم ويا رب محمد ﷺ، ألْزِمْني الفهم، وارزقني العلم، والحكمة والعقل، برحمتك يا أرحم الراحمين. وعن أبي يوسف قال: مات لي ولد فأمرت مَنْ يتولى دفنه، ولم أدَعْ مجلس أبي حنيفة خوفاً أن يفوتني منه يوم. وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بالحديث، ولا أحفظ له من محمد بن إسماعيل البخاري، حتى كان يقال إن حديثاً لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث. وقال البخاري رحمه الله تعالى: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث غير صحيح. وقال: ما وضعت في كتابي الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك، وصليت ركعتين، وقال: أخرجته من ستمائة ألف حديث وصنفته في ست عشرة سنة، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى. وقال مجاهد: أتينا عمر بن عبد العزيز لنعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه، وكان يقال: الليث بن سعد رحمه الله تعالى ذهب علمه كله بموته، ولهذا قال الشافعي لما قدم مصر بعد موته: والله لأنت أعلم من مالك، وإنما أصحابك ضيعوك. وقال الليث بن سعد: ما هلك عالم قط إلا ذهب ثلثاً علمه ولو حرص الناس. ويقال: إذا سئل العالم فلا تجب أنت فإن ذلك استخفاف بالسائل والمسؤول. وقالوا: مَنْ خدم المحابر خدمته المنابر.

لا تـــدخـــر غيـــر العلـــوم ... فـــإنهـــا نِعْـــمَ الـــذخـــائِـــرْ
فـــالمـــرء لـــو ربـــح البقـــاء ... مـــع الجهـــالـــة كـــان خـــاسِـــرْ

(١) الأبيات للإمام الشافعي ووكيع هذا أستاذه المشهور.
(٢) سورة: الأنبياء، الآية: ٧٩.

وللشافعي رضي الله عنه تعالى عنه:

أخـي لـن تنـالَ العلـمَ إلا بستَّـة ... سـأُنبيـك عـن تفصيلهـا ببيـانِ
ذكـاء وحـرص واجتهـاد وبلغـة[1] ... وصحبـة أستـاذ وطـول زمـان

وقال الزهري. العلماء أربعة: سعيد بن المسيب بالمدينة، وعامر الشعبي بالكوفة، والحسن البصري بالبصرة، ومكحول بالشام. وقال بعضهم: العلماء سُرُج الأزمنة كل عالم سراج زمانه يستضيء به أهل عصره. وقيل لإبراهيم بن عيينة: أي الناس أطول ندامة؟ قال: أما في الدنيا فصانع المعروف إلى مَنْ لا يشكره، وأما في الآخرة فعالم مفرط.

كـن عـالمـاً وَارْضَ بصَـفِّ النعـال ... ولا تكـن صـدراً بغيـر الكمـالْ
فـإن تصـدَّرْت بـلا آلـةٍ ... صَيَّـرْتَ ذاك الصـدَر صـفَّ النعـالْ

وقيل: لما اجتمع موسى بالخضر عليهما السلام جاء عصفور فأخذ بمنقاره من البحر قطرة ثم حط على ورك الخضر ثم طار فنظر الخضر إلى موسى عليه السلام وقال: يا نبي الله إن هذا العصفور يقول: يا موسى أنت على علم من علم الله علمكه الله لا يعلمه الخضر، والخضر على علم من علم الله علمه الله إياه لا تعلمه أنت، وأنا على علم من علم الله علمنيه الله، لا تعلمه أنت، ولا الخضر. وما علمي، وعلم الخضر في علم الله إلا كهذه القطرة من هذا البحر. قال الله تعالى: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾[2] وقال تعالى: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾[3] قال عبد اللَّه بن عباس رضي الله عنهما: خلق الله تعالى أربعين ألف عالم، الإنس والجن عالمان، والبواقي لا يعلمها إلا هو. وقال موسى عليه السلام: يا رب قد قلت للسمٰوات والأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين، فلو لم تطعك السمٰوات والأرض ماذا كنت فاعلاً بهم. قال: يا موسى كنت آمر دابة من دوابي أن تبتلعهما. قال موسى: يا رب وأين تلك الدابة؟ قال: في مرج من مروجي. قال موسى: يا رب وأين ذلك المرج؟ قال: في علم من علمي لا يعلمه إلا أنا. وعن عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في فكرة فقال: «فيم تفكرون، تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله، فإن الله خلق من جانب الغرب أرضاً يقال لها البيضاء تقطعها الشمس في أربعين يوماً فيه خلق ما عصوا الله طرفة عين». فقال ابن عمر: يا رسول الله أين إبليس منهم؟ قال: «ما علموا بإبليس خلق، أم لا» قال: أمن بني آدم؟ قال: «ما علموا بآدم خلق، أم لا» فهذه كلها مما أعدها الله في علم غيبه ﴿إنما أمرُهُ إذا أرادَ شيئاً أن يَقُولَ لَهُ كُنْ فيكونُ * فسبحانَ الذي بيدِهِ ملكوتُ كلِّ شيءٍ وإليه تُرْجَعُونَ﴾[4] وقال قتادة لو كان أحد منا مكتفياً من العلم لاكتفى نبي الله موسى عليه السلام إذا قال: ﴿هل أتبعك على أن تعلِّمَنِ مما علمت رشداً﴾[5].

وقال الحكماء: أفضل العلم وقوف العالم عند علمه. وقال بعضهم: ليس العلم ما خزنته الدفاتر، وإنما العلم ما خزنته الصدور. وقيل: العلم يؤدي إلى التصدير، وقيل: مَنْ تواضع للعلم ناله، ومن لم يتواضع له لم ينله.

---

(١) البُلغة: القناعة بالقليل.
(٢) سورة: البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٣) سورة: المدثر، الآية: ٣١.
(٤) سورة: يَس، الآيتان: ٨٢ ـ ٨٣.
(٥) سورة: الكهف، الآية: ٦٦.

وقيل: مَنْ برق علمه، برق وجهه، ومَنْ لم يستفد بالعلم مالاً اكتسب به جمالاً، والعلم نور وهدى، والجهل غي وردى. وقال بعضهم: العالم يعرف الجاهل، والجاهل لا يعرف العالم، لأن العالم كان جاهلاً والجاهل لم يكن عالماً. وقيل: أربعة يسودون العبد: العلم، والأدب، والصدق، والأمانة. وقيل: أهل العراق أطلب الناس للعلم. وقال حماد بن سلمة: مثل الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو كمثل الحمار عليه مخلاة لا شعير فيها. ولإبراهيم بن خلف المهراني:

النحو يصلح من لسان الألكن ... والمرء تكرمه إذا لم يلحن[1]
وإذا طلبت من العلوم أجلها ... فأجلها منها مقيم الألسن

وقال علي بن بشار:

رأيت لسان المرء آية عقله ... وعنوانه فانظر بماذا تعنونُ
ولا تعدُ إصلاح اللسان فإنه ... يخبّر عمّا عنده ويبيّنُ
ويعجبني زيُّ الفتى وجمالُه ... فيسقط من عينيَّ ساعة يلحنُ

ودخل أعرابي السوق فوجدهم يلحنون فقال: سبحان الله يلحنون ويربحون؟ وكلم أبو موسى بعض قواده فلحن فقال: لم لا تنظر في العربية؟ فقال: بلغني أن مَنْ نظر فيها قل كلامه. فقال: ويحك لأن يقل كلامك بالصواب، خير لك من أن يكثر كلامك بالخطأ. وكان يقال: مجالسة الجاهل مرض للعاقل، وقال أبو الأسود الدؤلي: إذا أردت أن تعذب عالماً فاقرن به جاهلاً. وقال الشاعر:

جهلتَ ولا تدري بأنك جاهلٌ ... ومَنْ لي بأنْ تدري بأنك لا تدري

وقال رجل للحسن: أنا أفصح الناس. قال: لا تقل هذا. قال: فخذ عليّ كلمة واحدة. قال هذه واحدة. أبو جهل كناه المسلمون بذلك، كانت قريش تكنيه أبا الحكم فقال حسان رضي الله تعالى عنه:

الناس كنّوه أبا حكيم ... والله كنّاه أبا جهلِ

وأما ما جاء في الأدب فقد قال بعض الحكماء: العقل يحتاج إلى مادة من الأدب كما تحتاج الأبدان إلى قوتها من الطعام. وقال علي كرم الله وجهه: الأدب كنز عند الحاجة عون على المروءة، صاحب في المجلس، أنيس في الوحدة تعمر به القلوب الواهية[2] وتحيا به الألباب الميتة وينال به الطالبون ما حاولوا. وقيل: عقل بلا أدب كشجاع بلا سلاح. وحكي أن رجلاً تكلم بين يدي المأمون فأحسن فقال: ابن من أنت؟ قال: ابن الأدب يا أمير المؤمنين. قلن: نعم النسب انتسبت إليه. ولهذا قيل: المرء من حيث يثبت، لا من حيث ينبت، ومن حيث يوجد لا من حيث يولد. قال الشاعر:

كن ابنَ مَنْ شئتَ واكتسِبْ أدباً ... يغنيك محمودُه عن النسبِ
إنّ الفتى مَنْ يقولُ ها أنا ذا ... ليس الفتى مَنْ يقولُ كان أبي

---

(١) اللحن: الغلط في الكلام ولها معانٍ عده لعل أهمها إبعاد الكلام عن وجهه (التورية).
(٢) الواهية: المضناة ـ المتعبة.

وقال بعض الحكماء: من كَثُرَ أدبه، كَثُرَ شرفه، وإن كان وضيعاً، وبَعُدَ صيته وإن كان خاملاً، وساد إن كان غريباً، وكثرت حوائج الناس إليه وإن كان فقيراً. قال بعض الشعراء:

لكلِّ شيءٍ زينةٌ في الورى ... وزينةُ المرء تمامُ الأدبِ
قد يشرفُ المرءُ بآدابه ... فينا وإن كان وضيعَ النسبِ

وقال بعض الأعاجم مفتخراً:

ما ليَ عقلي وهمتي حسبي ... ما أنا مولى وما أنا عربي
إذا انتميتُ إلى أحدٍ ... فإنني منتمٍ إلى أدبي

وقيل: الفضل بالعقل والأدب، لا بالأصل والحسب. وقيل: المرء بفضيلته، لا بفصيلته، وبكماله لا بجماله وبآدابه لا بثيابه. وقيل لرجل: من أدبك؟ قال: رأيت جهل الجهال قبيحاً فاجتنبته فتأدبت. ومن أدب ولده صغيراً سرّ به كبيراً. من عرف الأدب اكتسب به المال والجاه، خير الخلال الأدب، وشر المقال الكذب. وقيل لبقراط. ما الفرق بين من له أدب ومن لا أدب له؟ قال: كالفرق بين الحيوان الناطق والحيوان الذي ليس بناطق. ودخل أبو العالية على ابن عباس رضي الله عنهما فأقعده معه على السرير وأقعد رجالاً من قريش تحته فرأى سوء نظرهم إليه، وحموضة وجوههم فقال: ما لكم تنظرون إليّ نظر الشحيح[1] إلى الغريم[2] المفلس. هكذا الأدب يشرف الصغير على الكبير، ويرفع المملوك على المولى ويقعد العبيد على الأسرة. وقال جالينوس: إن الأبن الوضيع إذا كان أديباً كان نقص أبيه زائداً في منزلته، وابن الشريف إذا كان غير أديب كان شرف أبيه زائداً في سقوطه. وقيل: أحسن الأدب أن لا يفتخر المرء بأدبه. وسمع معاوية رجلاً يقول: أنا غريب. فقال: كلا الغريب مَنْ لا أدب له. ويقال: إذا فاتك الأدب فالزم الصمت فهو من أعظم الآداب. ولعبد الملك بن صالح:

في الناس قومٌ أضاعوا مجدَ أوّلهم ... ما في المكارم والتقوى لهم أربُ
سوءُ التأدُّبِ أرداهم وأرذلهم ... وقد يزين صحيحَ المنصب الأدبُ

وقيل: أربعة تسوّد العبد: الأدب والعلم والصدق والأمانة. وقال بعض الحكماء: خمسة لا تتم إلا بخمسة: لا يتم الحسب إلا بالأدب ولا يتم الجمال إلا بالحلاوة ولا يتم الغنى إلا بالجود ولا يتم البطش إلا بالجراءة، ولا يتم الجهاد إلا بالتوفيق. والله تعالى أعلم.

---

(١) الشحيح: البخيل.
(٢) الغريم: المقتضى بدين.